(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية/جامعة سومر بالتعاون مع جامعة الامام الصادق(ع) للفترة من8-9 اذار 2023 ,الصفحات 128-147

نشاط الأسطول البحري الحربي الفاطمي في المغرب

296- 362هـ / 909- 973م

أ.د. علي فيصل عبد النبي العامري[1]*
[1]*كلية التربية الأساسية, جامعة سومر, ذي قار, العراق*

الملخص

إن قيام الخلافة الفاطمية في المغرب سنة 296هـ/ 909م على ساحل أفريقية الشرقي في تونس حتم عليهم الاهتمام بالأسطول البحري ، خاصة وانها قريبة من مناطق الصراع الذي شهدته مياه البحر المتوسط من قبل البيزنطيين والأمويين في الأندلس ، وظهور الفاطميين على ساحل البحر المتوسط يعني بروز منافس جديد على مياهه.

كان استتباب نفوذ الفاطميين على مياه البحر المتوسط واتخاذهم المهدية حاضرة لهم ، حتم عليهم انشاء دار صناعة للسفن وموانئ بحرية لتعزيز نشاطهم وبسط نفوذهم على مياهه وسواحله.

ولأهمية الدور الفاطمي على مياه البحر المتوسط تستدعي تسليط الضوء على هذا النشاط ، وماهي سياستهم إزاء جزره ، والصراع بينهم وبين البيزنطيين والأمويين في الأندلس ، وللأسف لم تذكر المصادر التاريخية أنواع سفنهم وأسلحتهم الحربية خلال الحقبة التي عاشها الفاطميون في المغرب ، بينما ذكرت اسلحتهم وأنواع سفنهم والخطط العسكرية ووظائف رجالهم الذين عملوا في المجال البحري في مرحلة وصولهم واستقرارهم في مصر بالتفصيل.

الكلمات المفتاحية: نشاط ، الأسطول ، البحر ، الحرب ، الفاطمي ، المغرب

The Activity of the Fatimid naval fleet in Maghreb 296-362 A.H. / 909 -973 A.D

Professor Dr. Ali Faisal Abdul Nabi - Al Ameri[1]*
[1]college Faculty of Basic Education, University of Sumer, Thi-Qar, Iraq

Abstract

The establishment of the Fatimid caliphate in Morocco in the year 296 AH / 909 AD on the eastern coast of Ifriqiya in Tunisia made it imperative for them to take care of the maritime fleet, especially since it was close to the areas of conflict that the Mediterranean waters witnessed by the Byzantines and the Umayyads in Andalusia, and the emergence of the Fatimids on the Mediterranean coast means the emergence of a new competitor on its waters.

The Fatimids' influence over the waters of the Mediterranean and their adoption of Mahdia as their present made it imperative for them to establish a shipyard and seaports to enhance their activity and extend their influence over its waters and coasts.

The importance of the Fatimid role in the waters of the Mediterranean requires shedding light on this activity, and what is their policy towards its islands, and the conflict between them and the Byzantines and between the Umayyads in Andalusia, historical sources are not mentioned the types of their ships and war weapons.

* **Email address: alifaisall009@gmail.com**

Keywords: activity ,fleet, sea, war, Fatimid, Maghreb

المقدمة

اكتسب نشاط الأسطول الحربي الفاطمي أهمية خاصة في توفير الحماية وتعزيز الدفاعات البحرية لاسيما إذا ما علمنا أن نشأة الخلافة الفاطمية كان في أفريقية (تونس) في بلاد المغرب ، وهي واقعة على ساحل البحر المتوسط وأن المنافسين لهذه الدولة الناشئة كانوا أقوياء ومتمرسين في الحكم لفترة طويلة وهم البيزنطيون في القسطنطينية وكان الاختلاف الديني يحتم على الفاطميين اتخاذ الموقف الجهادي ضدهم ، والأمويون المختلفون معهم من الناحية المذهبية في الأندلس ، وأن التنافر وعدم الانسجام معهما من قبل الفاطميين جعلهم في موقف صعب يتطلب منهم تهيئة الوسائل الدفاعية لمجابهة المخاطر المتوقعة منهم ، ومنها إنشاء الأسطول البحري القادر على خوض غمار الحرب على مياه البحر المتوسط.

من المصاعب التي واجهت البحث ندرة المصادر التي تحدثت عن أنواع السفن الحربية لدى الفاطميين ، كذلك الفنون القتالية وكيفية إدارة هذه السفن ، وتعذر ترجمة وتعريف بعض الشخصيات والمدن ، وتكمن أهمية البحث في انه يسلط الضوء على نشاط هذا الأسطول ودوره في جعل ميزان القوى يصب في صالح الفاطميين الذين كانوا أسياداً على مياه البحر المتوسط لفترة طويلة نسبياً وباتوا قادرين على أخذ زمام المبادرة في هذه الحقبة التاريخية المهمة .

قسم موضوع البحث على ثلاثة مباحث، سنتناول في الأول، الأسطول لغة واصطلاحاً واهتمام الفاطميين بالأمور البحرية ، وخصص المبحث الثاني عن جهود الأسطول الفاطمي لفتح مصر ، بينما بحثت في المبحث الثالث عن علاقات الفاطميين الخارجية في المجال البحري الحربي.

اعتمد الباحث على عدد من المصادر والمراجع التاريخية ، أهمها كتاب المجالس والمسايرات وافتتاح الدعوة للقاضي النعمان ، والخلافة الفاطمية بالمغرب لفرحات الدشراوي ، وسياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط لمحمد صابر دياب وغيرها من المصادر والمراجع التاريخية.

المبحث الأول

أولاً/الأسطول لغة واصطلاحا

من الناحية اللغوية وردت كلمة أسطول في المصادر العربية بإصطول[1] ، وأسطول تجمع أساطيل وهي مجموعة من السفن المعدة سواء للحرب أو للنقل [2]، أو وردت سطول ، وهي مفردة يونانية الجذور ، ويرى المسعودي[3] انها كلمة رومية وتعني المراكب الحربية مجتمعة ، ولم ترد كلمة الأسطول في أغلب المعاجم العربية وأشار إليه المقريزي[4] بأنه غير عربي واكتفى بذلك ، أما اصطلاحاً تعرف في اللغة العربية على أنها المراكب الحربية بصيغتها في المفرد وفي الجمع ، ويقال للجندي الذي يتخذ فيها مكسباً لمعيشته أسطولي[5]، والسفن الحربية وهي التي تعد لمهام قتالية وتشحن بالعدة والسلاح والمقاتلين[6] ، وذكرها ابن القلانسي[7] بـ (المراكب الاسطولية) ، وعرفها الخفاجي [8] هي : السفن التي يسافر فيها للقتال وذكرت في أشعار العرب ، قال علي بن محمد الايادي التونسي[9] من قصيدة له :

أعجب لأسطول الإمَام مُحَـمَّدٍ ولِحُسْنهِ وزَمانِه المُستَغربِ

لبستْ بِهِ الأَمواجُ أَحسنَ مَنظرٍ يَبدُو لعين النَّاظر المُتعجب .

وقد وصف انتصاب صدر السفينة كأنها الصقر حين يترقب لكي ينقض ، ويصور بياض لون السفينة العلوي كثياب ترهب ، وتحدث عن ألسنة نار النفط التي تقذف منها حممها على الأعداء ، وما تقوم به مجادفها التي تدفعها بسرعة الطائر في عباب البحر[10].

ومن ناحية أهمية قيادة الأسطول أولى ابن خلدون اهتماماً في تسليط الضوء على أهمية قيادته بقوله : " وهي من مراتب الدولة وخططها في ملك المغرب وأفريقية وَمرَووسَةٌ لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الأحوال ويسمى صاحبها في عرفهم البَلِمَنْدَ بتفخيم اللام منقولا عن لغة الافرنجة فانه اسمها في اصطلاح لغتهم ، وإنما اختصت هذه المرتبة بملك أفريقية والمغرب لأنهما جميعا على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر من سبتة[11] إلى الشام ، وعلى عدوته الشمالية بلاد الأندلس والافرنجة والصقالبة والروم إلى بلاد الشام أيضاً ، ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة إلى أهل عدوته"[12].

ثانياً/اهتمام الفاطميين بالأمور البحرية

تعد دولة الفاطميين أكثر الدول اهتماما في مجال البحر بعد الأمويين في الشام ، وشهدت البحرية في عهدهم نشاطا منتظما لحد كبير [13] ، فبدأ الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي (296- 222هـ/ 909- 933م) بعد أن استتبت أمور الخلافة له في خط حاضرة الفاطميين وسماها بـ (المهدية) نسبة لِاسمه وكان أحد أسباب إنشائها هو لغرض الابتعاد عن السُنة والخوارج المناوئين للفاطميين الشيعة فضلا عن تهديد البيزنطيين لهم[14] وقد انتقل اليها سنة 308هـ/ 920م [15] " وجعل لها البحر مخرجا ، وجعل عليه قفلا "[16]، وأنشأ المهدي فيها داراً للصناعة [17] تتجاوز سعته مائتي مركب وفيها قبوان واسعان مستطيلا الشكل لحماية المراكب وملحقاتها من تأثير ضوء الشمس أو الأمطار[18].

استمر الخلفاء الفاطميون بالاهتمام بالجانب البحري ، وبالذات في الأمور ذات الصلة ببناء المرافئ البحرية على سواحل تونس البحرية ، بعد أن شعر الخليفة المعز لدين الله (341- 365هـ/ 953- 975م) بأن مينائي المهدية [19] ودار الصناعة لا يحققا متطلبات الأسطول الفاطمي ، فسعى لإعادة انشاء قاعدة سوسة [20] التي يحيطها البحر من ثلاث جهات ، والغنية بوجود الأحجار التي تساعد على كسر الأمواج ، وأصبحت سوسة نتيجة هذه الجهود التي قام بها المعز لدين الله ثاني أكبر قاعدة بحرية لأسطول الفاطميين في أفريقية [21].

إن اختيار المهدي لموقع حاضرته كان صائباً لاتصال بَرّها على شكل كف ملتصق بزند بداخل البحر [22] ، الأمر الذي مكنها من أن تكون قاعدة بحرية مهمة لأي عمليات بحرية محتملة [23] ، وسعى الفاطميون من أن تكون المهدية القريبة من القيروان ، نقطة انطلاق لخوض عباب البحر المتوسط ، فضلا عن تنمية التجارة البحرية [24].

وأصبح الاسطول الفاطمي بسبب عناية الفاطميين به يملك ستمائة قطعة بحرية في عهد المعز لدين الله ، وبلغ عدد جنودهم البحرية خمسة آلاف ، تتراوح رواتب قادتهم بين عشرة إلى عشرين ديناراً ، بينما يتقاضى أدنى جندي دينارين ، ويمنحون اقطاعات تسمى أبواب الغزاة ، وينتخبون أحد قادتهم رئيساً لهم ويأتمرون بأمره خلال الحرب ، ولغرض تكريمهم كان الخليفة يقوم بنفسه بتفريق النفقات على من يقوم بالغزو منهم [25].

المبحث الثاني

جهود الاسطول الفاطمي لفتح مصر

على الرغم من الفراغ السياسي الغالب الذي عاشه المغرب ، فأن الفاطميين لم يكونوا متحمسين بالبقاء فيه طويلاً ، ولم يفكروا بإنشاء قوة كبرى فيه ، وجعلوه نقطة انطلاق نحو تحقيق الهدف البعيد في الشرق وهو مصر ، لكن هذا لا يمنعهم من الهيمنة على مياه البحر المتوسط الغربية ، وأن بناء المهدية وبناء أسطول سوسة من جديد خير شاهد على ذلك ، وسعيهم لإحكام السيطرة على طرابلس وبرقة فضلا عن مصر ، لذا لم يعدوا الشمال الأفريقي هدفاً طموحاً وحيوياً ثابتا لهم ، لذا كانت نفوس خلفائهم ترنوا صوب مصر بالذات[26] ، فارسل أبو عبد الله المهدي عساكره لمصر لغرض فتحها[27] بقيادة ولده أبي القاسم محمد (القائم) لكن جيشه مني بالهزيمة أمام جيش العباسيين بقيادة مؤنس الخادم (ت 321هـ / 933م) سنة 301هـ/ 913م [28]، واستأنف الفاطميون نشاطهم لفتح مصر مرة أخرى تحت قيادة ولده أبي القاسم سنة 306هـ/ 918م برفقة عرب وبربر من أفريقية [29]، فأرسل المقتدر بالله العباسي (395- 320هـ/ 907- 932م) قائده مؤنس الخادم مرة ثانية لمواجهة الاسطول الفاطمي ، ووصل ثمانون مركباً من أفريقية (تونس) لتعزيز الاسطول الفاطمي بإمرة سليمان الخادم ويعقوب الكتامي اللذان عرفا بشجاعتهما ، بينما عزز المقتدر اسطوله بخمس وعشرون مركباً انطلقت من ميناء طرسوس[30] مزودة بالعدد والنفط بإمرة (أبو اليمن) ، فاصطدمت المراكب العباسية مع المراكب الفاطمية وتقاتلتا عند رشيد [31] وظفرت بالأسطول الفاطمي وتمكنت من أسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامي ، ولم تفلح عساكر ابي القاسم بالتصدي للجيش العباسي ومنيت هي الأخرى بالهزيمة عبر وقائع كثيرة وحل بها الغلاء والوباء ومات الكثير من الناس والخيل ، ولقب على أثرها مؤنس الخادم بالمظفر الذي لاحق فلول الفاطميين حتى ابعدها عن مصر[32] .

وبعد تولي القائم بأمر الله الفاطمي الخلافة بعد وفاة أبيه ، أرسل جيشاً بقيادة خادمه زيدان لمصر سنة 322هـ/933م ، واهتم بالنفقة عليه وتمكن من دخول الإسكندرية ، فتصدى له الأمير محمد بن طغج الإخشيدي[33] وتمكن من إلحاق الهزيمة بالجيش الفاطمي[34] ، وآثر الفاطميين اتباع السياسة السلمية معه [35] ، والحقيقة أن فشل الفاطميين في فتح مصر للمرة الثالثة جعلهم يصرفون النظر عن التعرض للبيزنطيين [36]، ويبدو أن الأمور لم تكن على ما يرام فمصر بعيدة لحد ما عن سواحل أفريقية وهذا يتطلب منهم جهوداً استثنائية ، وأن العباسيين كانوا جادين في افشال مخططات الفاطميين بضم مصر لهم ، لذا نجد إخفاق مشروعهم هذا رغم حملاتهم الثلاثة عليها طيلة أكثر من عقدين من الزمن ، فشعر الفاطميون على ما نستنتج أن عليهم إعادة النظر بقدراتهم الهجومية وأن الوقت لم يحن بعد لتحقيق نصر ناجز على العباسيين وانتزاع مصر منهم ولم يتحقق ما صمموا عليه إلا بعد ثلاثة عقود ونصف من الزمن.

ولم يتمكن الجيش الفاطمي من فتح مصر إلا في سنة 358هـ/ 969م في عهد الخليفة المعز لدين الله على يد قائده جوهر الصقلي [37].

المبحث الثالث

العلاقات الخارجية

اولاً: العلاقات مع البيزنطيين والمدن الإيطالية

بعد استحواذ الفاطميين على جزيرة صقلية سنة 305/ 917م وامتداد سيادتهم عليها ، سيّر عبد الله المهدي في سنة 313هـ/ 925م اسطولاً ، غزا فيها قلورية (Calabria) **[38]** الواقعة إلى الجنوب من ايطاليا **[39]** .

إن استمرار التهديدات الفاطمية التي شكلها اسطولهم في الهجمات على قلورية ، جعل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع (301- 307هـ/ 913-919م)(بورفيروجنيتوس) مضطراً لمهادنة الفاطميين ، والبقاء على دفع الجزية [40] لهم ، والتي بدأ بدفعها منذ سنة 305هـ/ 917م في عهد وصاية زوى (Zoe) (301- 307هـ/ 913-919م)، بموجب معاهدة ابرمت فيما مضى بمقدار وصل إلى اثنتي وعشرين قطعة ذهبية في السنة ، للتأمين على نفسه وأراضيه من غارات الاسطول الفاطمي للتفرغ لحرب ملك البلغار سيميون (Simeon)، وأخذت الهجمات الفاطمية مساراً آخر ، فقد شهد خليج تارنت (Tarente) في الجنوب الإيطالي هجوماً بحملة اشترك فيها أربعة وأربعون مركباً قتالياً سنة 313هـ/ 929م ، وكان مثار هلع لمدينتي ساليرنو (Salerno) ونابولي (Neapolis) اللتين أرغمتا على الموافقة على دفع الجزية للفاطميين [41]، واستمر دفع الجزية من قبل المدن الإيطالية الجنوبية بانتظام طيلة خلافة عبد الله المهدي[42].

لم تكن العلاقة التي تربط الفاطميين بالروم البيزنطيين على ما يرام فقد خرج من المهدية اسطول في شعبان سنة 316هـ/ 928م لغزو أراضي البيزنطيين ، واستمرت الغزوة حتى قدومهم برفقة اسطول صقلية بقيادة صابر الخادم أحمد بن سامية [43] بعد سنتين من التاريخ المذكور وقد غنموا غنائم كبيرة وجلبوا معهم الأموال الكثيرة والأثاث ، وتمكنوا من سبي ما زاد على ثمانية عشر ألف إنسان [44].

وفي سنة 319هـ/ 931م ، أمر الخليفة عبد الله المهدي بالاهتمام بالأسطول الفاطمي والعناية به فزوده بما يكفيه من المؤن والسلاح والاستعداد لغزو البيزنطيين ، مما أثار مخاوفهم من هذا الأمر وشعروا بجدية الخليفة الفاطمي بحملته ضدهم ، وطلبوا الهدنة منه وتجنب الحرب وقد بعثوا بالهدايا له ، فاستجاب المهدي لهم وبقى الأسطول الفاطمي لم يبرح مكانه ولم يغزو[45]، ويبدو أن الأسطول الفاطمي كان على قدر من القوة الأمر الذي جعل البيزنطيين يصابون بالهلع منه فضلاً عن ما رأوه من جدية لدى الخليفة المهدي الفاطمي ضدهم .

وكان البيزنطيون مضطرين لعقد الهدنة مع الفاطميين ، لغرض التصدي لمخاطر البلغار التوسعية ولم يحركوا ساكناً إزاء إخضاع الفاطميين لقلورية والبوية لضعف نفوذ البيزنطيين فيها ، لذا لم يحدث أي صدام يستحق الذكر بين الأسطولين الفاطمي والبيزنطي ، طيلة أيام عبد الله المهدي الذي استغل بدوره هذه الحالة للتفرغ لتعزيز أسطوله[46] .

أصبح للخلافة الفاطمية في عهدي عبد الله المهدي وولده الخليفة القائم بأمر الله ، مكانة مرموقة بين دول حوض البحر المتوسط ، بسبب الاهتمام الكبير الذي أولوه بتجهيز الاسطول البحري ، وقد تجسدت كفاءته في سنتي 322/ 933م و934/323م على جزر مثل مالطة وسردينية وكورسيكا وغيرهن [47].

اتبع من جاء بعد عبد الله المهدي سياسة مشابهة لأبيهم ، فأولى الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله (322- 334هـ / 933-945م) القوة البحرية الاهتمام اللازم فضلا عن اهتمامه بالقوة البرية [48] ، وقد أرسل الحملات بعد وفاة والده المهدي سنة 323هـ/ 934م للسيطرة على جنوة [49] بقيادة يعقوب بن اسحاق فغنم وسبى فيها [50]، وأحرقوا مراكب سردانية وكذلك مراكب قرقيسيا خلال مرورهم بهما [51]، ومباغتة قلورية وأهداف أخرى ، وكان هذا بمثابة إرسال رسالة للقوى الأوربية بعظمة الخلافة الفاطمية ، وكبح من تسول له نفسه بالمساس بسيادتها ، رغم المصاعب الجمة التي واجهتها بعد حركة ابي يزيد مخلد بن كيداد التي استمرت زهاء ثلاث عشرة سنة وانتهت بوفاته في محرم سنة 336هـ/ 947م ، الأمر الذي جعل

الخليفة المنصور بنصر الله (334- 341هـ/ 945- 953م) يفكر في ((عمل آلات الحرب والمراكب))[52]، بعد أن أزهقت حركة مخلد بن كيداد من الأنفس نحو أربعمائة ألف[53].

وخرج الخليفة المنصور بنفسه إلى تونس لقتال البيزنطيين وهيأ الأسطول لهذه المهمة ونزل عند أطلال قرطاجنة دون ذكر المزيد من التفاصيل عن هذه الحملة[54]، وهذا يظهر مدى حالة التوجس والريبة من أية تحركات أو أنشطة مريبة للبيزنطيين ضد الفاطميين .

وقد حققت الأساطيل البحرية الفاطمية خلال وجودها في المغرب ، مجداً في هذا المجال في البحر المتوسط ، واحتلت موقعاً متقدماً في ميدان السيادة الإسلامية على مياه هذا البحر[55].

شعر المعز لدين الله أن قاعدة المهدية وما تضم فيها من دار للصناعة لا يحققان المطالب المتزايدة للأسطول الفاطمي ، فَفَعَّلَ قاعدة مدينة سوسة الحصينة ، والمحاطة من البحر بثلاث جهات والتي تكثر فيها الحجارة الكاسرة للأمواج [56]، وهذا الاهتمام من قبل الخليفة المعز بسوسة جعلها تتبوأ المرتبة الثانية بعد المهدية [57] ، فكانت المهدية وسوسة نقطتي اعتماد المعز لدين الله في أفريقية بينما كانت جزيرة صقلية مرفئ للسفن الفاطمية التي أشرفت عليها الأسرة الكلبية الموالية للفاطميين والتي مكنت القائد جوهر الصقلي (ت 381هـ/ 991م) من فتح مصر سنة 358هـ/ 969م بوصول تعزيزات له منها بسهولة ويسر [58] ، الأمر الذي مكن المعز لدين الله بعد استتبت له الأمور في مصر بالتحرك إليها في شعبان سنة 361هـ/ 962م ووصل القاهرة المعزية في شهر رمضان سنة 362هـ/ 973م [59].

ثانياً/ العلاقة مع جزيرة صقلية

اهتم الفاطميون بنشر فقههم الإسماعيلي وبسط نفوذهم على سائر البلدان ومنها جزيرة صقلية ، فمن كتاب الأمان الذي صدر من الداعي الفاطمي أبي عبد الله الشيعي [60]: " وانتم ، معشر أهل جزيرة صقلية ، أحق بما أَوْلَيْتُه من المعروف والإحسان وأَزْدَيْتُهُ ، وأولى به وأقرب إليه ، لقرب داركم من دار المشركين وجهادكم الكَفَرة الظالمين . وسوف أَمْلأُ إن شاء الله جزيرتكم خيلاً [ورجالاً] من المؤمنين الذين يجاهدون في الله حق جهاده فيعز ويذل بهم الشرك والمشركين ، والحول والقوة لله العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل"[61]، وورث الفاطميون اسطول بني الأغلب [62]، الذي كان راسياً على شواطئ بلرم[63] ، وتونس وسوسة ، ولم يصمد آخر أمرائهم وهو زيادة الله أمام الدعاية الفاطمية وترك ملكه وأخذ ما خف حمله واختار من الجواري والخدم ولجأ "الى قلساية جادة طريق مصر"[64] ، وتفوق الفاطميون على الأغالبة في جانب اهتمامهم بشؤون الأساطيل البحرية وفي جهادهم ، فكانوا من أعظم الدول الإسلامية اهتماماً بالجانب البحري[65].

وانصبت جهود عبد الله المهدي منذ تمكنه على عرش رقادة[66] ، إلى تنظيم اسطوله المحارب الذي كان موالياً له في ساحل أفريقية ، وليعد العدة لفتح صقلية وإخضاعها له [67] ، ولم يوضح لنا طبيعة الصنادل من القارب التي طلب اقامتها من قبل ابن يعقوب على جريدة [68] ، فضلاً عن أن الشاعر ابن هانئ الأندلسي لم يشر بوضوح للأسطول الفاطمي ، وذكر ذلك في قصيدة ، منها :

أَما والجواري المُنشَآت التي سَرَت لقد ظـاهَرْتَــها عُـدَّةٌ وعَـديــدُ[69].

وعهدت إمرة الاسطول الفاطمي في صقلية الى للقائد ابن أبي خنزير سنة 300هـ/ 912م في التصدي للمتمردين فيها والذين كان لديهم اسطولاً أضخم قاده أحمد بن قرهب ابن قائد التمرد ، وسحق الاسطول الفاطمي الراسي في ميناء لمطة إلا أن الفاطميين سرعان ما جددوه بفترة وجيزة ، الأمر الذي شجع الخليفة المهدي الى أعادة العرب في صقلية لطاعته ، وأيضاً استأنف الاسطول الفاطمي مواصلة نشاطاته في جنوب إيطاليا[70].

وقام الخليفة عبد الله المهدي بتنصيب الحسن بن محمد بن أبي خنزير الكتامي والياً على صقلية سنة 297هـ/ 909م وأساء السيرة فيها وثاروا عليه واعتقلوه ، وكتب أهلها للمهدي شكواهم عنه فعزله [71]، وجعل أحمد بن قهرب [72] محله إلا أن أهل صقلية ثاروا على الفاطميين وأعلنوا الولاء للخليفة المقتدر بالله العباسي (295- 320هـ/ 907- 932م) والذي بعث بدوره الخلع السود والألوية ، وتمكن ابن قرهب من قتل قائد الجيش الفاطمي الحسن بن أبي خنزير وأشعلوا النار بأسطوله وتوجه نحو سفاقس[73] وأحلوا بها الخراب ، وأرسل أسطولاً آخر لمواجهة أسطول المهدي لكنه مني بالهزيمة ، ولم تستقم الأمور في صقلية له وكاتب أهلها المهدي وثاروا عليه وأخذوه أسيراً للمهدي مع بعض حاشيته ، فأمر بقتلهم عند قبر ابن أبي خنزير سنة 304هـ/ 916م[74] ، وولى محله على صقلية أبا سعيد بن أحمد (الضيف)[75].

أرسل عبد الله المهدي اساطيله في السنة المذكورة (304هـ/ 916م) لجزيرة صقلية قادها أبو سعيد الذي عرف بالضيف ، وحاصر أهلها عدة أشهر وتمكن من قتل مجاميع منهم ، وأرسل كتابه للمهدي يبشره بفتحها ، فبعث إليه بالمزيد من المراكب والرجال ، مما أجبر أهل صقلية على طلب الأمان منه واستجاب لهم ، وهدم سورها وجرد أهلها من سلاحهم وخيلهم ورقيقهم ، وغرمهم ، وبعث من أخذهم منه لعبد الله المهدي ، وولى أبو الضيف على الجزيرة سالم بن راشد[76] ، وهو أحد معاونيه ، مبقياً معه عدداً من رجال كتامة ، بينما عاد هو للقيروان[77] ، وقد أدرك عبد الله المهدي تذبذب سيطرة الفاطميين على صقلية ولمعالجة ذلك وجد أن أنجع الوسائل هو ارسال قوة موالية له مع كل والى جديد على صقلية ليكبح جماحه إذا فكر في الخروج عليه ، ووئد أي قلاقل قد تحدث من قبل أهالي صقلية ضده[78] ، وكان حدس المهدي في محله فسرعان ما نزل الوالي أبا سعيد بن أحمد أرض الجزيرة حتى ثار عليه أهلها ، ومساعدة الجند الفاطمي له مكنته من إعادة الاستقرار لصقلية [79].

وثار أهالي كبركيت (جُرجنت) [80] في الجنوب الإيطالي سنة 325هـ/ 946م على سالم بن راشد ودخلوا معه في مواجهة عسكرية ، وتصدى لهم بنفسه وتمكن من هزيمتهم [81].

وخرجت عدة مراكب من مدينة المهدية نحو جزيرة صقلية في محرم سنة 334هـ/ 945م وهي محمّلة "بالعيالات والأموال" ، فتعرضت لرياح عاتية فرست فيها ، وخرجت عليهم مراكب من مدينة سوسة وتعرضت لهم وتمكنوا من الاستيلاء على مركبين صغيرين منهن ونهبوا أموالهما ، وأرسلوا بعضها إلى مخلد بن كيداد ، ويبدو ان ابن كيداد ارادَ أن يعكّر صفو حركة الملاحة الفاطمية ويشل حركتها [82]، ومن جانب آخر يمد ويعين حركته المناوئة والمتواصلة ضد الفاطميين.

حرص الفاطميون على بسط سيادتهم على صقلية لدواعي سياسية واقتصادية ، فكانوا يهدفون إلى إقامة دولة كبرى في البحر المتوسط ، لتكون هذه الجزيرة قاعدة انطلاق لأسطولها ودرء المخاطر البيزنطية على الساحل الإفريقي ، وتحقيق تطلعاتهم في ضم مصر وكافة بلاد المغرب ، أما من الجانب الاقتصادي ، فقد تيقن الفاطميون ان صقلية تتمتع بأرض

مثمرة تمولهم بالفواكه والمكسرات والمعادن النفيسة كالذهب والفضة والرصاص والزئبق وغيرها [83]، فحرصوا على إرسال ولاتهم وتبديلهم إذا ما دعت الضرورة ، فعندما حسمت المعركة مع أبي يزيد مخلد بن كيداد بعث الخليفة المنصور الفاطمي الحسن بن علي الكلبي والياً عليها سنة 336هـ/ 947م [84], وشهدت ولايته تأزم الأمور بينه وبين النصارى من أهالي صقلية الذي التمسوا المساعدة من قبل الإمبراطور قسطنطين السابع البيزنطي (بورفير جنيتوس) (333- 348هـ/ 944- 959م) ، فاستجاب لهم وأرسل قواته للجزيرة ودخلت في مواجهة مباشرة مع جيش الحسن الكلبي[85] الذي استطاع إلحاق الهزيمة به ، مما أجبر الإمبراطور لطلب الصلح معه[86].

لم يلتزم الإمبراطور البيزنطي بشروط الصلح الذي أبرمه مع الحسن الكلبي بعد تحقيق انتصارات له في المشرق ضد العباسيين والفاطميين فلجأ إلى تعزيز هذا التقدم بإرسال حملته على صقلية وأفلحت بالسيطرة على بعض المدن ، إلا انهم لم يتمتعوا بهذا النصر وتقهقرت قواته إلى قلورية [87].

إن تهديد البيزنطيين لصقلية لم ينته بعد في زمن الخليفة المعز لدين الله ، فنشبت الحرب بين الجيش الفاطمي وبين الموالين للبيزنطيين ، وقد تمكن الوالي أحمد بن الحسن الكلبي من الاستيلاء على أحد قلاع الجزيرة الحصينة سنة 351هـ/ 962م وهي طبرمين وأخرج أهاليها منها وحل محلهم جمع من المسلمين وأطلق على المدينة تسمية المعزية تيمناً باسم الخليفة المعز ، وأعقب ذلك إعلان بعض مدن الجزيرة استسلامها للجيش الفاطمي ، بينما استنجدت الأخرى بالإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس (352- 359هـ/ 963- 969م) ، الذي جهز بدوره قوات بحرية وبرية لمحاربة الوجود الفاطمي في الجزيرة ، واستعد واليها لملاقاة البيزنطيين من خلال جهوده الكبيرة في تهيئة الأسطول والقوات لهذا الغرض ، وتلقى دعماً من قبل الخليفة المعز بإرساله بعض المساعدات ، وأسفرت نتائج هذه الحالة تمكن البيزنطيين من السيطرة على البعض من المدن الصقلية سنة 353هـ/ 964م [88].

بقيت الحرب مستعرة بين الجيش الفاطمي وبين البيزنطيين الذين يفوقوهم عددا ، يتبادلان بينهما النصر والهزيمة ، واستطاع الفاطميون من الصمود بوجههم ، ونجح القائد الفاطمي الحسن بن عمار من تنظيم جيشه ، الأمر الذي مكنه من لقاء القائد البيزنطي مانويل وقتله بعد أن سقط من فرسه مع جماعة من البطارقة الذي كانوا معه ، في حين فرَّ جنده من ساحة المعركة ، وتعقبهم المسلمون في صقلية وتمكنوا من أسر وسبى الكثير منهم ، وغنموا منهم الكثير من المغانم ، " وألقى جماعة من المسلمين نفوسهم في الماء وخرقوا كثيراً من المراكب التي للروم فغرقت وكثر القتل في الروم " ، ولاحق الوالي أحمد بن الحسن الكلبي فلول البيزنطيين المنهزمة الى مسينا ووجدوهم قد انسحبوا منها وتعقبهم حتى حقق النصر عليهم في موقعة مشهورة تعرف بالمجاز وهو الخليج الفاصل بين صقلية وإيطالية سنة 354هـ/ 965م [89].

إن انتصار الفاطميين جعل المدن الثائرة في صقلية تعلن استعدادها للهدنة مع أحمد بن الحسن الكلبي ، وقبلوا دفع الجزية للفاطميين ، ويعد هذا التطور انجازاً عظيماً للمعز لدين الله ، واعترافاً بقوة الخلافة الفاطمية التي وجد فيها أباطرة البيزنطيين دولة ليست بالسهلة إذا ما قورنت بالعباسيين الذين كانت دولتهم تعيش في حالة من الانحطاط[90] ، وأصبحت صقلية تحت نفوذ الخلافة الفاطمية المباشر بعد أن كانت واقعة تحت نفوذ والي أفريقية والمغرب ، وأصبح لها وال مستقل سمح له المعز لدين الله بالرجوع إليه إذا ما اقتضت الحاجة ، بعد انتقال المعز من أفريقية (تونس) واستقرار دولة الفاطميين بمصر سنة 362هـ/ 973م[91].

ثالثاً/ العلاقات مع الأندلس

كانت العلاقات بين الفاطميين والأمويين في الأندلس سيئة للغاية ، وكان ذلك امتداداً لجذور العداء بين الأمويين والعلويين ، ومنذ أن استتبت الأمور لعبد الله المهدي في أفريقية ، واظب على إرسال دعاته للأندلس لغرض نشر الفكر الإسماعيلي ، ولكي يهيئ الأرضية الملائمة لأي عمل عسكري محتمل مناوئ مركزاً على معرفة نقاط القوة والضعف فيها من أجل اتخاذ التدابير اللازمة ضدهم[92] .

وكانت المنافسة بين البحرية الفاطمية والبحرية الأموية في الأندلس ، تجسدت في الإمدادات المادية التي منحها الخليفة عبد الله المهدي لزعيم الثائرين على الأمويين عمر بن حفصون في الأندلس والذي تمتع بنفوذ كبير ، في حقبة زمنية امتدت (238- 305هـ/ 852- 917م) ، وأن من المتوقع أن يؤيد الخليفة الفاطمي المتمردين على الأمويين في الأندلس وأبرزهم ابن حفصون الذي سعى إلى كسب تأييد الخلافتين الفاطمية والعباسية المناوئتين للأمويين ، فكانت الخلافة العباسية تمر بمرحلة الوهن والتدهور في أحوالها السياسية والاقتصادية ، وأن سيادتها غرباً لا تتجاوز الأراضي المصرية ، لذا لم تبق لابن حفصون فرصة التعاون مع الفاطميين وهم الأقوى والأقرب له من الناحية الجغرافية ، وتمثل ذلك بالاتصال بالخليفة المهدي ، ومن المؤمل أن الأخير سيستجيب له بحكم المخاطر المتوقعة من قبل أمويي الأندلس ضده ، واتخذ طابع التعاون منحاً عملياً فسير له عدداً من المراكب عبر البحر سنة 301هـ/ 913م ، نحو السواحل الأندلسية الجنوبية التي كانت تميره بالطعام من العدوة [93] ، فشعر الأمير عبد الرحمن بن محمد الناصر (300- 350هـ/ 912-961م) بهذه المخاطر الجدية ، وسعى لقطع وسائل الاتصال بين ابن حفصون والمتعاونين معه في المغرب ، لذا أقدم على مهاجمة السفن الفاطمية وأضرم فيها النار في الجزيرة الخضراء [94] ، ومن ذلك الحين صمم الأمير عبد الرحمن بن محمد على درء الخطر الفاطمي المتعاظم ، وشرع بتوجيه ضربات دقيقة على معاقل الفاطميين في المغرب [95] .

وكانت طموحات عبد الرحمن الناصر في امتلاك عدوة المغرب واستولى على سبتة ووجد هناك تجاوباً من قبل ولاة المغرب الأقصى معه من الأدارسة وزناتة والبربر ، وأعلن نفسه خليفة بعد أن كان أميراً على الأندلس سنة 316هـ/ 928م [96]، الأمر الذي دعا عبد الله المهدي للوقوف بوجه هذه الطموحات ، فأرسل سنة 321هـ/ 933م قائده ابن يصل أمير مكناسة[97]وعامل تاهرت [98] لهذا الغرض [99]، انطلق أمير البحر[100] يعقوب بن اسحاق من المهدية في عشرين مركباً ، صوب الشمال الغربي ، في سنة 322هـ/ 934م ، وصادف ان وجد مركباً قادماً من الأندلس يقل عدد من التجار النصارى ، واستولى عليه وأسر راكبيه [101].

كان الفاطميون منشغلين في التصدي للثائر عليهم ابي يزيد مخلد بن كيداد والتي دامت ثلاث عشرة سنة ، أراد عبد الرحمن الناصر استغلال الظروف العصيبة التي مر بها الفاطميون ، إلا ان الانتصارات التي حققها الخليفة المنصور في سوسة والقيروان قد حالت دون تحقيق أهدافه العسكرية ، وفشلت مرامي قائد الأسطول الفاطمي ابن رماحس ، ومنيت حملة القائد حميد بن يصل المكناسي بالفشل عند تاهرت ، بعد تواجد المنصور في هذه المدينة إثر كسبه المعركة في شمال الحضنة[102].

ولغرض اضعاف نفوذ الفاطميين في المغرب ، ساند عبد الرحمن الناصر ابن كيداد وأمده بكل ما يستطيع من عون له ، فجهز في دعمه اسطولاً حمل معه الكثير من الرجال المقاتلين ، وزوده بالسلاح والعدة وأنفق عليه الأموال الطائلة ،

وولى قيادته أحد عماله على مجانة [103] وهو محمد بن رناجس ، فحاول التخلص من المهمة التي أوكلها إليه الناصر ، فوبخه على ذلك ورفض عذره ، وانطلق من المرية[104] في الأندلس راكبا – بعد أن أصلح ما فيها من المراكب كاتب للناصر، وعند وصوله حائط فوبة[105] وحل عليه فصل الشتاء سنة 334هـ/ 945م وردت إليه اخبار انتصارات الخليفة المنصور الفاطمي على مخلد بن كيداد ، فرجع إلى تنيس على أن يكمل رحلته إلى الأندلس فمر بظروف بحرية قاسية أدت إلى غرق معظم مراكبه بما فيها من العدة والرجال ونجا هو بنفسه بعد عناء كبير [106].

أخذ النزاع البحري بين الفاطميين والأمويين يتنامى فأمر الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (الثالث) سنة 344هـ/ 955م بلعن الخلفاء الفاطميين على كافة منابر الأندلس والمناطق الواقعة تحت نفوذه [107]، وأمر أيضاً ببناء مركب ضخم في دار الصناعة في المرية[108] ، لم يعرف الأندلس له نظيراً في مثل هذا الحجم ، وحمله بالأمتعة وسار صوب الشرق ، فصادف مركباً للفاطميين وفيه رسول لهم من قبل أمير صقلية الحسين بن علي الى الخليفة المعز لدين الله ، فاعترضوا طريقه واستحوذوا على ما فيه ، واستولوا على الكتب المرسلة للمعز ، فلما وصل له خبره ، صمم على الرد بقوة ، فأرسل اسطولاً بقيادة أمير صقلية نحو السواحل الأندلسية الجنوبية الشرقية ، وهاجم الأسطول الفاطمي مدينة المرية في ذات السنة ، وأشعلوا النار في كل السفن الراسية فيها ، وأخذوا المركب الكبير ، الذي كان مشحوناً بالأمتعة والجواري والمغنيات للخليفة الأموي والقادم من الإسكندرية ، وانسحبوا لقاعدتهم في المهدية بعد أن قتلوا ونهبوا ما في المدينة ولم يتعرضوا لمن استسلم لهم [109].

إن الهزيمة التي لحقت بالأمويين في الأندلس دعت عبد الرحمن الناصر للتحالف مع البيزنطيين في عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع (مونو ماخوس) (434-446هـ/ 1042-1054م) واستجاب له ، واجتمعت الأساطيل البيزنطية والأندلسية لملاقاة الأسطول الفاطمي ، فاجتمع الخليفة المعز لدين الله بأتباعه في النظر بتطورات الأمور ، وأرادوا مهادنة الروم البيزنطيين ، إلا أن المعز لم يقبل بذلك ، قائلاً : "معاذ الله ! ماكنت بادئاً بمن بدأ الله عز وجل به ، ... فهم أقربُ إلينا ، وحسبُنا استنصارا بالله على هؤلاء الفسقة بني أمية استنصارهم بالمشركين إخوانهم في الدين علينا ودخولُهم في جُملتهم وكونُهم في حزبهم ، وكفاهم بذلك خَزيةً وعارا في دنياهم وأخراهم"[110]، ونلاحظ استهجان المعز لدين الله من تحالف عبد الرحمن الناصر الذي يعد من المسلمين مع البيزنطيين المعادين للإسلام ولم يتحالف المعز معهم ضده.

أرسل المعز أسطوله من المهدية محملا بجنده ، ولاقى الأسطول البيزنطي وتمكن من سحقه في البحر وقتل الكثير من رجالهم ، وفَرَّ الباقون وتبعهم الأسطول الفاطمي الى مجاز مرية وألحق بهم الهزيمة ، ونزل بأرضهم وأحرق مدنهم ودمر كنائسهم ، وألحق الهزيمة بالأسطول الأندلسي [111].

وفي السنة التالية 345هـ/ 956م رد الأسطول الأندلسي المتكون من ستين سفينة بقيادة أمير البحر غالب بن عبد الرحمن الناصري بغارة شملت ساحل إفريقية ، مستهدفين مرسى الخزر وساحل مدينة سوسة [112]، واستأنفت الغارات الأندلسية على سواحل أفريقية سنة 347هـ/ 958م بقيادة أحمد بن يعلى [113].

وبعد وفاة عبد الرحمن الناصر سنة 350هـ/ 961 خلفه ابه الحكم المستنصر (350- 366هـ/ 961- 976م) ، بقى النهج العدائي ضد الفاطميين مستمراً فأرسل حملة لبلاد المغرب الأقصى والأوسط سنة 362هـ/ 973م مستهدفاً النفوذ

الفاطمي فيها والتي قويت لديها الدعوة الفاطمية في حينها ، ونجحت في بسط النفوذ الأموي فيها ، ورحب بهم زعماء زناتة من مغراوة ومكناسة وأقاموا دعوته في أعمالهم وخطبوا فيها لهم على منابرهم[114] ، ونفهم من ذلك ان الوجود الفاطمي في المغرب لم ينل ترحيب الغالبية من الناس فيه.

رابعاً/ العلاقة مع جزيرة كريت (اغريطش)

تمتعت جزيرة كريت بموقع هام في حوض البحر المتوسط وتحكمها بالممرات المائية نحو بحر ايجة وكذلك سواحل آسيا الصغرى ومقدونيا ، وتجاور عدد مهم من الجزر كجزر رودس وسكربنتو وميلوس وغيرها والتي تعد خطوطاً أمامية لسواحل الإمبراطورية البيزنطية ، وكان فتح جزيرة كريت يعد تهديد مباشر للبيزنطيين فضلا عن انها غنية بالأشجار التي تعد عاملاً جوهرياً لصناعة السفن البحرية[115]، وكانت هذه الجزيرة تحت نفوذ العباسيين ، وبسبب قربها لمصر ، باتت تابعة لواليها ، وقد سكن الجزيرة جماعة من المهاجرين من الأندلس عرفوا بالربضيين ، استوطنوا فيها ما يقارب القرن ونصفه من الزمن ابتداءً من بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي [116]، وعاشوا بِدِعة وأمان ، ولم ينغص معيشهم سوى الغارات المتتالية من قبل البيزنطيين الذين يرومون عودة الجزيرة لنفوذهم [117].

وفي سنة 345هـ/ 956م حاصر البيزنطيون الجزيرة وشددوا عليها في ذلك ، ولم يلقوا أهلها أي دعم من العباسيين ، ولا من الإخشيديين بمصر ، ولا من الحمدانيين بحلب الأمر الذي دعاهم للتفكير بالاتصال بالفاطميين في المغرب ، لذا طالب أهلها الربضيين الخليفة المعز لدين الله بمد يد العون لهم [118].

عندما وصل رسول جزيرة كريت للمنصورية [119]، دعا والي مصر الإخشيدي للتعاون معه في مجال الأسطول الحربي لمناصرة أهالي كريت ، وفي ذات الوقت حذر الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني (348- 352هـ/ 959-963م) من التمادي في أذاهم على الجزيرة أو التعرض لهم [120].

وجد الخليفة الفاطمي أن تدخله بشؤون الجزيرة وبسط نفوذه عليها وجعلها موقعاً بحرياً ، يحقق طموحاته بتسهيل مد سيادته على مصر [121] ، ومن جانب آخر ، شعر المعز أن سيطرته على كريت الواقعة تحت الحكم الإخشيدي والموالي للعباسيين ، يجعله قادراً على كسب ولائهم له من الناحيتين السياسية والمذهبية ، ويظهر للمسلمين قاطبة أنه انفرد في مناصرة أهالي الجزيرة [122].

لما أيقن أهالي كريت أن العباسيين غير جادين في إعانتهم ، أرسلوا أحد مراكبهم ضم عدد من رجالهم الى المعز لدين الله ، فلم يخيب سعيهم رغم جحودهم له ، وأمر "بالأخذ في الأهبة والعدة ليكون نفوذ الأساطيل إليهم في أول زمان بالإمكان"[123].

عند لقاء رسول أهل كريت الخليفة الفاطمي ، بين له الأهمية الكبيرة للجزيرة لمصر ، وانها قد تكون نقطة انطلاق للفاطميين في ضم مصر لسيادتهم ، وتركيزه على موقعها في تهديد القسطنطينية وأن موانئها في خدمة هذا الهدف يتحرك منها الأسطول الفاطمي ، فضلاً عن ما تتمتع به الجزيرة من موارد هامة من معادن وغابات والذي يدعم هذا تعزيز الصناعة للأسطول الفاطمي البحري[124].

ومن غير المستبعد أن المعز لدين الله كان تواقاً لبسط نفوذه عليها ، لتكون قاعدة له تنطلق منها أساطيله من شرق البحر المتوسط ، وقد وجه عتابه للرسول ، بتقاعسهم عن الاتصال به قبل تأزم أمور الجزيرة وتنامي المخاطر التي شكلها البيزنطيون عليها ، لكنه طمأنهم بانه عازم على نجدتهم ، باعتباره من نسل الدوحة المحمدية المباركة ، وانه جاعل كل المسلمين مشمولين برعايته ، ولغرض ان يثبت المعز للرسول جديته في مد يد العون للجزيرة ، أبقى رسولهم عنده ليبين له صدق ما عزم عليه ، وأن يكون ملازماً للأسطول الفاطمي عند تحركه لنجدة جزيرة كريت ، وبعث المعز برسول لهم يؤكد تصميمه على مد العون لهم[125] .

وفي جانب علاقة المعز لدين الله بالإخشيديين ، فقد جرى اتصال في عهد ولاية أبي الحسن علي بن الإخشيد ، وأثناء وصاية كافور الإخشيدي عليه (349 -355هـ/ 960- 966م) ، وكان المسلمين في جزيرة كريت ، قد بعثوا رسلهم له ، سبق اتصالهم بالخليفة الفاطمي ، وراسلوا قبله الوالي الإخشيدي أبو القاسم أنوجر بن الإخشيد (334-349هـ/ 946-960م) خلال أربع سنوات بدءاً من سنة 345هـ/ 956م بسبب تبعيتهم له ، اضافة لذلك فان كريت كانت تمدها مصر بالكثير من المؤن [126].

وقد ورد في الرسالة التي بعثها المعز لأصحاب السلطة في مصر الاخشيدية سنة 349هـ/ 960م ، قائلا : " إن الله سبحانه قد خولنا من فضله وأمدنا من معونته وتأييده بما نرى أنا بحوله وقوته ونصره لنا وإظهارنا على عدونا نكف أيدي الكفرة عما تطاولت إليه من حرب هذا الصقع [البلد] والإيقاع بأهله . وقد انتهى إلينا أنك أظهرت الحركة إلى الجهاد وإمداد هؤلاء القوم بمراكب من قبلك ، وأنت لعمري بذلك أجدر لقربهم منك واتصالهم بك وميرهم بلدك وكونهم وإياك في دعوة واحدة . ولو أسلمناهم إليك وقعدنا عنهم لما كان لك ولا لهم علينا حجة في ذلك ، ولكنا آثرنا نصرة أمة جدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم نر التخلف عن ذلك وقد رجونا له ..."[127].

نجد أن المعز لدين الله أراد إشراك الأسطول البحري المصري الاخشيدي ، بالأسطول الفاطمي ، واقتضت خطته بأن يرسل الاخشيديون جيشهم وأسطولهم البحري صوب مرسى طبنه في برقة [128] في مطلع ربيع الآخر سنة 350هـ/ 961م ، بعدها تبحر هذه القوات المشتركة الى جزيرة كريت منطلقة من طبنه ، وقد سبق أن حذر المعز الاخشيديين سنة 345هـ/ 956م بأنه عازم على المضي في مهاجمة البيزنطيين سواء اشترك معهم الاخشيديون أم لا ، وقال : " ونحن بحول الله وقوته وتأييده ونصره وعونه مستغنون عنك وعن غيرك ، وعلى عزم وبصيرة في إنفاذ أساطيلنا ورجالنا وعُدتنا وما خولنا الله إياه وأقدرنا عليه مما نرى بحوله وقوته أنا نبلغ به ما نؤمّ إليه بذلك ونصمد نحوه . فبالله نستعين ، وعليه نتوكل ، وعلى تأييده نعوّل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل "[129].

لم يفلح المعز لدين الله في إقناع أبي الحسن علي الاخشيدي في مصر بالتعاون معه لمواجهة البيزنطيين وتخليص كريت من أطماعهم ، خاصة وان دولتهم كانت تعيش في مرحلة ضعف وتدهور منذ أواسط القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، بعد فشلهم في التصدي للبيزنطيين الذين تعرضوا لمصر عند دمياط سنة 347هـ/ 958م [130]، وقد يكون الاخشيديين غير جادين في التعاون مع الفاطميين وأن ولاءهم للعباسيين ترك أثره البالغ على مستقبل الجزيرة ولم يتصرفوا بالحكمة اللازمة في الظرف الدقيق أمام المخاطر المحدقة بالجزيرة.

إن هجوم البيزنطيون وتهديدهم لكريت (اقريطش) ، أدى إلى احتجاج المعز لرومانس الثاني مهدداً في رسالته التي بعثها له بنقض الهدنة بينهما التي كان أمدها خمس سنوات في 346هـ/ 957م والتي عقدت أثر هزيمته التي تعاون فيها مع الأمويين في الأندلس ، وطالبه بالاختيار أما التخلي عن محاربة الجزيرة أم التخلي عن الهدنة [131] .

وذكَّر المعز رومانس الثاني في كتابه له ، أن العدوان على كريت هو عدوانٌ على الفاطميين ، لأن هذه الجزيرة هي جزء من سيادة الفاطميين بالرغم من عدم طاعة أهلها لهم وولائها للعباسيين وولاتها الاخشيديين ، ولا يعني ذلك أن يتخلى الفاطميون عن نجدتهم " فاقريطش وغيرها من جميع الأرض لنا ، بما خولنا الله منها وأقَمنا له فيها ، أطاعنا من أطاع وعصانا من عصى ، وليس بطاعتهم يجب لنا أن نملك ولا بعصيانهم يحق علينا أن نترك"[132].

أكد المعز لدين الله للإمبراطور البيزنطي خلال رسالته التي بعثها له حق الفاطميين في انقاذ كريت لأنها جزء من سيادة الفاطميين ، ودلل على ذلك في أحد الصور الواقعية بالطريقة التي تمكن فيها رومانوس الثاني بن قسطنطين السابع الوصول للعرش ، وانتزاعه من مغتصبه رومانوس الأول (307- 333هـ /919- 944هـ) ، وقال : " فإن كنت غير ذلك ، وأنت ترى أن ما في يديك لك ، فقد كان [رومانوس] تغلب عليك وعلى أبيك من قبلك ، ثم دارت لكما عليه الدائرة . فإن رأيت أن من احتجز شيئا وتغلب عليه فهو له دون صاحب الحق الذي ملكه ، فلم يكن لك ولا لأبيك القيام على [رومانوس] ولا انتزاع ما صار إليه من يديك . فهذه سبيل أهل الحق عندنا . فإن اعترفت لها فقد انصفت ، وإن جهلتها لم يكن جهلك إياها حجة على من عرفها" [133]، ثم حذره المعز لدين الله من القيام بأي عمل عدائي يستهدف كريت ويعرضها للضرر[134].

لم يعر البيزنطيون تهديدات المعز لدين الله المتواصلة ضدهم بأي اهتمامٍ يذكر ، وانهم لمسوا عدم تقديم خطوة عملية في مساعدة المسلمين في الجزيرة ، بسبب انشغاله بالهجوم الذي قام به البيزنطيون على مدينة طبرمين الصقلية سنة 349هـ/ 960م ، في الوقت نفسه وجدوا بأن الفاطميين في هذه المرحلة كانت الأزمات الداخلية في المغرب لم تنته بعد ، فضلا عن النزاع المستمر بينهم وبين الأمويين في الأندلس[135]، الأمر الذي شجع القائد البيزنطي نقفور فوكاس في الهجوم على كريت سنة 349هـ/ 960م[136] ، وربما كانت مشاغلة الفاطميين في صقلية من قبل البيزنطيين المراد منه إبعاد أنظار المعز لدين الله عن متابعة قضية كريت.

إن الربضيين مكثوا في كريت مدة مائة وأربعين سنة ، وطردهم الروم على يد الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني بن قسطنطين السابع سنة 350هـ/ 961م[137] واحتلوا قبرص فيما بعد سنة 965هـ/ 975م الذي عد من أبرز الأحداث السياسية التي شهدها القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إذ أمنت السواحل البيزنطية من التهديدات البحرية الإسلامية لها ، وأصبح ميزان القوى لصالح البيزنطيين وتزايد تفوقهم البحري في القسم الشرقي لمياه البحر المتوسط لفترة لم تدم طويلاً [138]، ويبدو أن الفاطميين لم يتمكنوا من نجدة جزيرة كريت وتمكن البيزنطيين من احتلالها ، وانتهت فترة النفوذ الإسلامي الذي دام عليها وبشكل متواصل مدة مائة وأربعين سنة[139].

الخاتمة

وفي ختام البحث توصلنا إلى استنتاجات عديدة، نبينها في النقاط الآتية:

1- كان الفاطميون بحاجة ماسة لإنشاء اسطول بحري للدفاع عن سيادتهم ومواجهة التحديات التي شكلها لهم البيزنطيين والأمويين في الأندلس.
2- يبدو أن الأسطول الفاطمي قد أصبح بقدر من القوة التي يحسب لها حساب ، الأمر الذي جعل البيزنطيين يصابون بالهلع منه ، فضلاً عن ما رأوه من جدية لدى الخليفة المهدي الفاطمي ضدهم واستعداده للدخول في صدام معهم سنة 319هـ/ 931م .
3- إن تطلع الفاطميين لضم مصر لأملاكهم حتم عليهم الاهتمام بإنشاء اسطول بحري قوي قادر على تحقيق أهدافهم.
4- اثبت الأسطول الفاطمي هيمنته على مياه البحر المتوسط وتمكن الفاطميين من فرض سيادتهم عليه.
5- يبدو أن الأمور لم تكن على ما يرام إزاء حماسة الفاطميين بضم مصر لبعدها لحد ما عن سواحل أفريقية وهذا يتطلب منهم جهوداً استثنائية لتحقيق تطلعاتهم ، وان العباسيين كانوا جادين في افشال مخططات الفاطميين بضم مصر لهم ، لذا نجد إخفاق مشروعهم هذا رغم حملاتهم الثلاث عليها طيلة أكثر من عقدين من الزمن ، فشعر الفاطميون على ما نستنتج ان عليهم إعادة النظر بقدراتهم الهجومية وأن الوقت لم يحن بعد لتحقيق نصر ناجز على العباسيين وانتزاع مصر منهم ولم يتحقق ما صمموا عليه إلا بعد مضي ثلاثة عقود ونصف من الزمن.
6- ربما كانت مشاغلة الفاطميين في صقلية من قبل البيزنطيين المراد منه إبعاد أنظار المعز لدين الله عن متابعة قضية جزيرة كريت.
7- لم يكن أن الإخشيديون جادين في التعاون مع الفاطميين وان ولائهم للعباسيين ترك أثره البالغ على مستقبل الجزيرة ولم يتصرفوا بالحكمة اللازمة في الظرف الدقيق امام المخاطر المحدقة بالجزيرة.
8- نلاحظ استهجان الخليفة المعز لدين الله من تحالف عبد الرحمن الناصر - الذي يعد من المسلمين - مع البيزنطيين المعادين للإسلام ، ورغم ذلك لم يتحالف المعز معهم ضد الناصر.

الهوامش:

([1]) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، 188.
([2]) المعجم الوسيط ، مادة (الأسطول) ، 17.
([3]) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، 122(دار الصاوي) ؛ عزيزي ، تطور صناعة السفن ، 29.
([4]) المقريزي ، الخطط ، 3/ 331.
([5]) النخيلي ، السفن الإسلامية ، 2- 4.
([6]) المقريزي ، الخطط ، 3/ 331.
([7]) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، 332.
([8]) ابن الأبَّار ، الحُلَّة السِّيَرَاء ، 162 ؛ الخفاجي ، شفاء الغليل ، 33.
([9]) علي بن محمد الإيادي : شاعر تونسي من شعراء الدولة الفاطمية عندما كانت بتونس توفي سنة 365هـ/ 976م : ينظر : ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، 9/ 225 ؛ وعلى ما يبدو بان ما يقصده الإمام محمد هو الخليفة القائم بأمر الله الفاطمي الذي حمل اسم محمد ، وضبطت الأبيات من المرجع المذكور لوجود اختلافات طفيفة فيها بين المصادر والمراجع .
([10]) م . ن ، 9/ 225.
([11]) سبتة : مدينة على البحر من جانب بر البربر والتي تقابل الأندلس ، محصنة تشبه المهدية في دخول أرضها في البحر ، تبعد عن فاس مسير عشرة أيام ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 3/ 17 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، 1/ 202.
([12]) ابن خلدون ، المقدمة ، 204.
([13]) مؤنس ، المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، 106.
([14]) البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، 84- 85.
([15]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 1/ 184 ؛ حسن ، عبيد الله المهدي ، 204- 205.
([16]) عماد الدين ، عيون الأخبار(السبع – الخامس)، 136.
([17]) دار الصناعة : وهو مفهوم عرف في عهد الخلافة الفاطمية والذي يعني مكان صناعة السفن الحربية ، وكان موقعه في مدينة المهدية ، ينظر : عماد الدين ، عيون الأخبار (السبع - الخامس) ، 232 ؛ مقديش ، نزهة الأنظار ، 344- 346 ؛ وتقسم بمصر إلى قسمين سفن حربية وسفن نيلية نسبة لنهر النيل ، ينظر : المقريزي ، الخطط ، 3/ 331.
([18]) البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، 30.

([19]) المهدية : مدينة على ساحل البحر المتوسط ، لها سور من الحجر ، يشرب أهلها من مياه الآبار ومن آبار ماء المطر" ومن أحبَّ أن ينظر إلى القسطنطينية فلينظر إليها" ، ينظر : المقدسي ، أحسن التقاسيم ، 183.

([20]) سوسة : هي أحد بلدان المغرب فيها أسواق عامرة وفنادق وحمّامات ، ومن مدنها الكبيرة ، بشرة سكانها حنطاوي تميل للصفرة ، وقيل انها بلدة صغيرة تبعد عن سفاقس مدة يومان ، وثلاثة أيام عن المهدية ، أغلب أهلها حاكة ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، 72 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 3/ 93.

([21]) النعمان ، المجالس والمسايرات ، 530 ؛ سيد ، الدولة الفاطمية ، 726.

([22]) ابن الأثير ، الكامل ، 151/6.

([23]) العبادي ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، 200.

([24]) حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، 329/3.

([25]) زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، 219.

([26]) سيد ، الدولة الفاطمية ، 135- 136.

([27]) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، 289.

([28]) ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 147.

([29]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 181/1.

([30]) طرسوس : وهي من ثغور الشام تقع بين أنطاكية وحلب ، لها سوران وخندق واسع ، ولها ستة أبواب ، يتوسطها نهر البردان ، وتضم قبر الخليفة المأمون العباسي (198- 218هـ/ 813- 833م) الذي وافته منيته بها أثناء غزواته ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 3/ 256.

([31]) رشيد : بلدة على ساحل البحر المتوسط قريبة من الإسكندرية ، ظهر فيها عدد من المحدثين ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 2/ 403.

([32]) ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 161.

([33]) محمد الإخشيدي : هو محمد بن طغج بن جف لقبه الخليفة الراضي العباسي (322- 329هـ/ 933- 940م) ، بالإخشيد سنة 326هـ / 937م والذي يعني (ملك الملوك) وهو لقب أطلق على ملوك فرغانة ، توفي سنة 334هـ/ 945م خلال حربه التي دامت مع سيف الدولة الحمداني (ت 356هـ/ 967م) منذ سنة مضت ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 256 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، 3/ 235 ؛ الجميلي ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، 221- 224.

([34]) ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 238.

([35]) الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، 315- 316.

([36]) طقوش ، تاريخ الفاطميين ، 132.

([37]) ابن الأثير ، الكامل ، 7/ 30- 31 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، 178/1.

([38]) قلورية : مدينة في شرق جزيرة صقلية ، سكنها الإفرنج تتبعها بلدان عديدة واسعة ، أشهرها طبرمين وريو ، ينظر: ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 142؛ الحميري ، الروض المعطار ، 470- 471 : مؤلف مجهول ، المكتبة العربية الصقلية ، 123.

([39]) ارشيبالد ، القوى البحرية ، 234.

([40]) الجزية : تعني اعطاء أهل الذمة من غير المسلمين قدر من المال على الرأس مقابل توفير الحماية لهم وصد الاعتداء عنهم ، ينظر : ابن جعفر ، الخراج ، 224- 226.

([41]) نقلا عن : حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، 110 ؛ وعن سنوات حكم قسطنطين السابع ووصاية زوى ، ينظر : العريني ، الدولة البيزنطية ، 897 - 898.

([42]) طقوش ، تاريخ الفاطميين ، 117.

([43]) صابر الخادم : أو صابر الفتى من قادة الخليفة عبد الله المهدي ، وله غارات كثيرة ضد البيزنطيين في صقلية والجنوب الإيطالي من سنة 315هـ/ 927م واستمرت لسنتين ، ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، 1/ 193- 194.

([44]) عماد الدين ، عيون الأخبار (السبع - الخامس) ، 151.

([45]) م . ن ، 151.

([46]) الدشراوي ، الخلافة الفاطمية ، 230.

([47]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 208/1- 209 ؛ دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، 99-100.

([48]) ارشيبالد ، القوى البحرية ، 234.

([49]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 218/1- 220 ؛ دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، 100.

([50]) ابن الأثير ، الكامل ، 239/6 ؛ النويري ، نهاية الأرب ، 72/28 ؛ ابن خلدون ، العبر ، 4 / 121 ذكر ذلك في عهد عبد الله المهدي.

([51]) ابن الأثير ، الكامل ، 249/6.

([52]) م . ن ، 217/6 ؛ وكان مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريمت بن تبقراس بن سميدان بن يفرن والأخير هو أبو الكاهنة ، ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، 1/ 216 ؛ وهو بربري من زناته من مدينة توزر في قسطيلية والده كان تاجراً ، ولد في مواضع الخوارج الإباضية والذي رأى بموالاة الخليفتين الراشدين الأولين أبي بكر وعمر والتبرؤ من الخليفتين الآخرين عثمان وعلي ، وعمل هو وأتباعه من الموبقات من قتل للأطفال واغتصاب للنساء ما يندى لها الجبين ، واستنزفت حركته بيت مال الفاطميين ، ينظر : عماد الدين ، عيون الأخبار (السبع - الخامس) ، 172- 173، 213 وما بعدها.

([53]) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، 19.
([54]) عماد الدين ، عيون الأخبار (السبع - الخامس) ، 338- 339.
([55]) زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، 1/ 220 ؛ دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، 101.
([56]) حسن ، المعز لدين الله ، 184-185 ؛ العدوي ، الأساطيل العربية ، 143- 144.
([57]) النعمان ، المجالس والمسايرات ، 324 ، 333.
([58]) حسن ، المعز لدين الله ، 186.
([59]) عماد الدين ، عيون الأخبار (السبع - السادس) ، 184- 192.
([60]) أبو عبد الله الشيعي : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا ، اتسم بـ " علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة " وهو داعي الخليفة عبد الله المهدي الفاطمي ونجح في دخول رقادة والقيروان وأطاح فيها بحكم بني الأغلب ، قتله المهدي لرغبته بالإطاحة به بتحريض من أخيه محمد أبو العباس سنة 298هـ/ 910م ، ينظر : النعمان ، افتتاح الدعوة ، 35 ، 140؛ ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 134.
([61]) النعمان ، افتتاح الدعوة ، 147.
([62]) بنو الأغلب : نسبة الى ابراهيم بن الأغلب الذي ولاه الخليفة الرشيد العباسي (170- 193هـ/ 786- 808م) واستقل عنهم شكلياً سنة 184هـ/ 800م ، ودامت دولتهم حتى قضى عليه الفاطميين سنة 296هـ/ 909م ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، 5/ 109، 6/ 130.
([63]) بلرم : وتعني المدينة بلغة الروم وتقع على شاطئ البحر وهي أكبر مدن صقلية ، لها سور عالي من الحجر ، جامعها كان بالأصل بيعة ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، 118 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 1/ 380- 381.
([64]) النعمان ، افتتاح الدعوة ، 136- 137.
([65]) العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية ، 63.
([66]) رقادة : بلدة في أفريقية تبعد عن القيروان أربعة أميال ، تكثر فيها البساتين طيبة الهواء ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 2/ 411.
([67]) الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، 563.
([68]) الجوذري ، سيرة الأستاذ جوذر ، 98.
([69]) ابن هانئ الأندلسي ، الديوان ، 92.
([70]) ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 142 ؛ الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، 564.
([71]) ابن خلدون ، العبر ، 4/ 211 ؛ الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، 203.
([72]) أحمد بن قهرب : ولي أمر صقلية سنة 297هـ/ 909م ، وخطب للخليفة المقتدر بالله العباسي وقطع الخطبة لعبد الله المهدي الفاطمي ، وقتلت سرية بحرية له قائد الفاطميين الحسن بن أبي خنزير في مواجهة وأرسل رأسه له ، ولم يستقم الأمر له في صقلية وتمرد أهلها عليه لخشيتهم منه ، وراسلوا المهدي الفاطمي وثاروا عليه وتمكنوا من أسره سنة 300هـ/ 912م مع بعض رجاله وقاضيه ابن الخامي ، فأمر المهدي بقتلهم عند قبر ابن أبي خنزير سنة 303هـ/ 915م ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 142 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، 1/ 174. .
([73]) سفاقس : أحد مدن أفريقية الساحلية تبعد عن المهدية مسافة ثلاثة أيام ، يكثر فيها انتاج الزيتون ، وهي مدينة ذات سور صخري وفيها أسواق عديدة وحمامات وفنادق ولها قرى كثيرة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 3/ 48.
([74]) ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 142؛ ابن عذاري ، البيان المغرب 1/ 174؛ ابن خلدون ، العبر ، 4/ 211 ذكره ابن قهرب.
([75]) ابن خلدون ، العبر ، 4/ 211 ؛ بينما ذكره ابن الأثير ، الكامل ، 142/6 أبا سعيد بن موسى بن أحمد ، وذكره ابن عذاري ، البيان المغرب ، 1/ 174 أبا سعيد الضيف.
([76]) سالم بن راشد : من أمراء الدولة الفاطمية ، تولى جزيرة صقلية من قبل عبد الله المهدي الفاطمي سنة 305هـ/ 917م ، لغرض فرض الأمن في الجزيرة ودامت ولايته حتى سنة 328هـ/ 939م ، إلا انه كان كمن سبقه في حكمها من حيث القسوة والبطش في سياسته ، مما أدى إلى اندلاع عدة ثورات مناهضة له ، ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب 1/ 175؛ ابن خلدون ، العبر ، 4/ 211.
([77]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 1/ 174- 175.
([78]) ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 142 ؛ حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، 99.
([79]) ابن خلدون ، العبر ، 4/ 211 ؛ حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، 99.
([80]) جرجنت : تقع شرق جزيرة صقلية ، وترسوا فيها السفن الكبيرة والمسافرين من بلاد الروم أو الإسلام على حد سواء ، وفيها قلعة حصينة ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ؛ مؤلف مجهول ، المكتبة العربية الصقلية ، 39 .
([81]) ابن خلدون ، العبر ، 4/ 212.
([82]) عماد الدين ، عيون الأخبار (السبع - الخامس) ، 210.
([83]) حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، 99- 100.
([84]) ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 326 ؛ ابن خلدون ، العبر ، 4/ 212.
([85]) الحسن الكلبي : هو أبو الغنائم الحسن بن علي بن أبي الحسن ، من الأمراء الكبار في الدولة الفاطمية ومثبت أركانها ، شارك في وئد حركة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي وتم القضاء عليه سنة 336هـ/ 947م ، توفي سنة 354هـ/ 965م ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 326 ؛ الزركلي ، الأعلام ، 2/ 201 .
([86]) ابن خلدون ، العبر ، 4/ 213 ؛ سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، 366.

([87]) حسن ، المعز لدين الله ، 53.
([88]) ابن الأثير ، الكامل ، 11/7.
([89]) ابن الأثير ، الكامل ، 7/ 12؛ ابن خلدون ، العبر ، 4/ 213 ؛ سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، 367.
([90]) حسن ، المعز لدين الله ، 59.
([91]) سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، 367.
([92]) طقوش ، تاريخ الفاطميين ، 114.
([93]) العدوة : وهي في مدينة فاس ، وتوجد عدوتين هما الأندلسيين والقرويين ، ينظر : ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب ، 30 ؛ العدلاني ، طبقات الأصوليين ، 50.
([94]) الجزيرة الخضراء : مدينة معروفة بالأندلس ، تقابل سبتة وأعمالها من أراضي البربر ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 2/ 55.
([95]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 2/ 165 ، العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية ، 36- 64.
([96]) المقري ، نفح الطيب ، 1/ 353- 354.
([97]) مكناسة : أحد مدن المغرب تبعد عن مراكش أربع عشرة مرحلة ، تكثر بها أشجار الزيتون ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 306- 307.
([98]) تاهرت : مدينة أنشأت من قبل عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بعد فرار ابن الأشعث منها بما خف حمله ، الذي دخل القيروان ، بني فيها مسجد من أربع بلاطات ، وبنى الناس مساكنهم سنة 161هـ/ 777م ، وتولى شأنها مدة سبع سنوات ونال ولاء الاباضية الخوارج ، وتوفي بها سنة 168هـ/ 784م ، ينظر ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، 1/ 196- 197.
([99]) ابن خلدون ، العبر ، 4/ 146.
([100]) أمير البحر : وهو القائد الأعلى للأسطول ، ومنه عرف لفظ (أدميرال) Admiral ، ينظر : أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية ، 373.
([101]) ابن الأثير ، الكامل ، 6/ 238 ؛ الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، 242.
([102]) عيون الأخبار ، 463 ، نقلاً عن : الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، 315. الحضنة : لم يتوصل الباحث لتعريفٍ لها.
([103]) مجانة : بلدة بأفريقية فتحها بسر بن أرطاة وتسمى أيضاً بقلعة بُسر ، يكثر فيها الزعفران والحديد والفضة ، تبعد عن القيروان خمس مراحل ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 207.
([104]) المرية : مدينة كبيرة ، ومن كور الأندلس وهي أحد أعمالها ، منها تركب التجار ، تحتوي على مرفأ ومرسى للسفن والمراكب ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 258
([105]) فوبة : لم يتوصل الباحث لتعريفها.
([106]) عماد الدين ، عيون الأخبار (السبع - الخامس) ، 258- 259.
([107]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 2/ 210.
([108]) المرية : مدينة كبيرة في الأندلس فيها مرفأ ومرسى للسفن ، جودة عالية فيها بعمل الديباج ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 258.
([109]) القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، 165.
([110]) م . ن ، 166.
([111]) م . ن ، 166- 167.
([112]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 2/ 221 ؛ العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية ، 65.
([113]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 2/ 221.
([114]) ابن خلدون ، العبر ، 4/ 150.
([115]) العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية ، 40.
([116]) حسن ، المعز لدين الله ، 46- 47.
([117]) دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، 132.
([118]) النعمان ، المجالس والمسايرات ، 443؛ العدوي ، الامبراطورية البيزنطية ، 103- 104 ؛ الأساطيل العربية ، 121؛ دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، 132.
([119]) المنصورية : مدينة تقع خلف القيروان أنشأها الخليفة المنصور الفاطمي سنة 337هـ/ 948م تيمناً وتخليداً لنصره على مخلد بن كيداد ، واهتم بتحصين سورها ورفع مبانيها وجعل عليها وعلى القيروان ، أحد غلمانه وهو قدام الصقلي ، ودعاه للإسراع وعدم التهاون في سرعة بنائها ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، 71 ؛ عماد الدين ، عيون الأخبار (السبع - الخامس) ، 259.
([120]) النعمان ، المجالس والمسايرات ، 443.
([121]) ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية ، 95.
([122]) دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، 133.
([123]) النعمان ، المجالس والمسايرات ، 443.
([124]) م . ن ، 446.
([125]) م . ن ، 446- 447.
([126]) دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، 134.

([127]) النعمان ، المجالس والمسايرات ، 445.
([128]) برقة : هي متوسطة الحجم في صقع كبير يضم مدن وقرى تقع بين الإسكندرية وأفريقية وبسبب أرضها خلوقية لهذا ثياب أهلها حمر ، ومحاطة بالبربر بها فواكه كثيرة مثل الجوز واللوز والأترج وغيرها ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، 66 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 1/ 308.
([129]) النعمان ، المجالس والمسايرات ، 446.
([130]) ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية ، 96.
([131]) النعمان ، المجالس والمسايرات ، 443 ؛ دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، 137.
([132]) النعمان ، المجالس والمسايرات ، 444.
([133]) م . ن ، 444.
([134]) دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، 138.
([135]) العدوي ، الأساطيل العربية ، 124.
([136]) دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، 139.
([137]) ابن خلدون ، العبر ، 4/ 216 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، 3/ 327.
([138]) العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية ، 44.
([139]) دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، 139.

قائمة المصادر

أولاً/ المصادر

1. ابن الأبّار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/ 1259م).
2. الحُلَّة السيراء ، وضع حواشيه وعلق عليه : علي ابراهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، ط1 (بيروت - 1429هـ / 2008م).
3. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين (ت630م/ 1232م).
4. الكامل في التاريخ ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه : نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، ط2 (بيروت – 1387هـ/ 1967م).
5. البكري ، أبو عبد الله الأندلسي (ت487هـ/ 1094م).
6. المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، مطبعة المثنى (بغداد – د.ت).
7. ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/ 1469م).
8. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة ، مطبعة كوستا ستوماس (القاهرة – د .ت).
9. ابن جعفر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد (ت 337هـ/ 948م).
10. الخراج وصناعة الكتابة ، دار الرشيد للنشر (بغداد - 1401هـ/ 1981م).
11. الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900هـ/ 1495م).
12. الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : احسان عباس ، مكتبة لبنان ،مطبعة هيدلبرغ ، ط2 (بيروت – 1405هـ/ 1984م).
13. ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (ت 367هـ/ 977م).
14. صورة الأرض ، مطبعة شريعت ، المكتبة الحيدرية ، ط1 (قم المقدسة 1428هـ/ 2007م).
15. الخفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ/ 1658م).
16. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، مطبعة السعادة ، ط1 (القاهرة – 1325هـ/ 1907م).
17. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م).
18. المقدمة ، دار أحياء التراث العربي ، ط1 (بيروت – 1432هـ/ 2010م).
19. أبن أبي زرع ، علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (ت 709هـ/ 1309م).
20. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط – 1392هـ/ 1972م).
21. ابن شداد ، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت632هـ/ 1235م).
22. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي ، ط2 (القاهرة - 1384هـ/ 1964م).
23. ابن عذاري ، أبو عبد الله بن محمد المراكشي (ت بعد 712هـ/ 1312م).
24. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج . س كولان وآخران ، دار الكتب العلمية ، ط1 (بيروت – 1431هـ/ 2009م).

25. عماد الدين ادريس الداعي المطلق القرشي (ت872هـ/ 1467م).
26. عيون الأخبار وفنون الآثار (السبع – الخامس) ، حققه وكتب مقدمته : مصطفى غالب ، دار الأندلس (بيروت – 1395هـ/ 1975م) ؛ و(السبع السادس) ، نفس المحقق ودار النشر ، ط2 (بيروت – 1405هـ/ 1984م).
27. ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة (ت555هـ/ 1160م).
28. ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت -1326هـ/ 1908م).
29. المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/ 957م).
30. التنبيه والإشراف ، عني بتصحيحه ومراجعته : عبد الله اسماعيل الصاوي ، مكتبة المثنى (بغداد – 1357هـ/ 1938م) ، وطبعة القاهرة ، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف ، لنفس العام .
31. المقدسي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 380هـ/ 990م).
32. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، علق عليه ووضع حواشيه : محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، ط1(بيروت – 1424هـ/ 2003م).
33. مقديش ، محمود (ت 1228هـ/ 1813م).
34. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق : علي الزواري – و محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 (بيروت –1409هـ/ 1988م).
35. المقري ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري القرشي الملقب بشهاب الدين (ت 1041هـ / 1631م).
36. نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب ، حققه : إحسان عباس ، دار صادر ، ط6 (بيروت – 1434هـ/ 2012م).
37. المقريزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/ 1441م).
38. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، ج1 (بيروت – 1422هـ/ 2001م).
39. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ، دار الكتب العلمية ، ط1 (بيروت – 1419هـ/ 1998م).
40. النعمان ، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي (ت363هـ/ 973م).
41. افتتاح الدعوة وإنشاء الدولة ، دار الأضواء ، ط1(بيروت – 1417هـ/ 1996م).
42. المجالس والمسايرات ، تحقيق : الحبيب الفقي وآخران ، دار المنتظر ، ط1(بيروت - 1996م).
43. مؤلف مجهول .
44. المكتبة العربية الصقلية ، نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ، جمعها وحققها المستشرق الإيطالي : ميخائيل أماري ، أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى ببغداد (ليبسك – 1274م- 1857م).
45. النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1332م).
46. نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : نجيب محمد فواز – وحكمت كشلي فواز ، دار الكتب العلمية ، ط1 (بيروت – 1425هـ/ 2004م).
47. ابن هانئ الأندلسي ، أبو القاسم محمد بن هانئ بن محمد بن مسعود الأزدي (ت 362هـ/ 973م).
48. الديوان ، اعتنى به وشرحه : حمدو أحمد طماس ، دار المعرفة ، ط1(بيروت – 1426هـ/ 2005م).
49. ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ/ 1229م).
50. معجم البلدان ، قدمها : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت – د. ت).

ثانياً/ المراجع

1. أرشيبالد ، لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، نقله للعربية : أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم : محمد شفيق غربال (القاهرة – 1376هـ/ 1956م).
2. الجميلي ، رشيد عبد الله ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، مطبعة التعليم العالي ، ط1 (بغداد – 1410هـ/ 1989م).
3. حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط6(القاهرة - 1962م).
4. (بالاشتراك مع : طه أحمد شرف) عبيد الله المهدي ، مطبعة الشبكشي ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة – د . ت).
5. تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط3 (القاهرة - 1384هـ/ 1964م).
6. المعز لدين الله (بالاشتراك مع : طه أحمد شرف) ، مكتبة النهضة المصرية ، ط2(القاهرة –1383هـ/ 1963م).
7. أبو خليل ، شوقي ، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة ، دار الفكر (دمشق – 1417هـ/ 1996م).
8. دياب ، محمد صابر، سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط ، عالم الكتب ، ط1(القاهرة – 1393هـ/ 1973م).
9. الزركلي ، خير الدين ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط16 (بيروت – 1426هـ/ 2005هـ)
10. زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (القاهرة -1435هـ/ 2013م).
11. سرور ، محمد جمال الدين ، تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي (القاهرة -1416هـ/ 1995م).
12. سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، الدار المصرية اللبنانية ، مكتبة الأسرة (القاهرة -1429هـ/ 2007م).

13. ضيف ، شوقي، عصر الدول والإمارات (ليبيا – تونس- صقلية) ، دار المعارف (القاهرة – 1413هـ/ 1992م).
14. طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام ، دار النفائس ، ط2 (بيروت - 1428هـ/ 2007م).
15. العبادي ، أحمد مختار ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، المعهد المصري للدراسات الإسلامية العدد 5 (مدريد – 1377هـ/ 1957م).
16. العدلاني ، يونس بن عبد الرزاق ، طبقات الأصوليين بعدوتي المغرب والأندلس ، تقديم : أبي الطيب مولود السريري السوسي ، دار الكتب العلمية – دار الأمان (بيروت –1442هـ/ 2020م).
17. العدوي ، إبراهيم أحمد ، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط ، مكتبة النهضة (القاهرة –1377هـ/ 1957م).
18. العدوي ، إبراهيم أحمد ، الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، مكتبة النهضة ، منشورات البيان العربي (القاهرة – د . ت).
19. العريني ، السيد الباز، الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية (بيروت – د .ت).
20. ماهر ، سعاد ، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربي (القاهرة –1387هـ/ 1967م).
21. المعجم الوسيط ، قام بإخراج الطبعة إبراهيم أنيس وآخرون ، أشرف على الطبع : حسن علي عطية – ومحمد شوقي أمين ، ط2 (القاهرة -1392هـ/ 1972م).
22. مؤنس ، حسين ، المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، مج 5 (القاهرة -1371هـ/ 1951م).
23. النخيلي ، درويش، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، مطابع الأهرام التجارية (الإسكندرية -1394هـ/ 1974م).

ثالثاً/ الرسائل الجامعية

1. عزيزي ، حسيبة – وسامية بولرياح.
2. تطور صناعة السفن الإسلامية في حوض البحر المتوسط من القرن 1 - 5 هـ / 7 - 11م) ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية - 1438هـ/ 2016م).